

عوامل تأثر المرابطين بالحضارة الأندلسية - فن العمارة أنموذجا- Factors influenced by the Almoravids of Andalusian -architecture is a model-civilization

ناجي لخضر

جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة

كلية العلوم الإسلامية، مخبر الشريعة

l.nadji@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2021 /03/14 تاريخ القبول: 2022 /03/21 تاريخ النشر: 2022/06/09

ملخص:

يعتبر المزج والتَّهْل الحَضاري بين الدُّول من بعضها البعض من أسمى، وأرقى العلاقات التي يمكن أن تعبر بما كان على وعي الدُّول والشُّعوب لهاته القيمة الحضارية، والتي تشكّل دائما، وفي الغالب رافدا من روافد العلم، والمعرفة، والحضارة بشكل عام، ومدعاة للخروج من الفكر الانطوائي، والانزوائي، وحتى القبلي الذي يحجب العقول، ويكبح فطرة الإبداع، والانفتاح على الآخر للاستفادة منه بما يخدم مصالح الجميع إيجابا.

ولقد عبرت عن كل هذا الدولة المرابطية، وحكّامها من خلال انفتاحها التّام على كل ما هو أندلسي بعد عملية ضم المنطقة إلى حكمهم، وهذا من خلال الاستفادة من المظاهر الحضارية التي كانت في الأندلس، ومحاولة نقلها إلى منطقة المغرب خصوصا ما تعلق بفن العمارة الذي كان يعكس دائما صورة الدولة لدى الآخرين من حيث التّحضر، والتّطور فأنتج هذا التمازج فنا جديدا في العمارة سمي "بالفن المغربي الأندلسي" الذي يتّسم بالصّلاب، والمناعة، والجمالية في الشّكل، والزّخرفة، وما كان لهذا الأمر أن يتحقّق على أرض الواقع إلا بوجود بعض العوامل التي ساعدت في ذلك، كان منها رغبة الحكّام، والأمراء المرابطين الاستفادة من كل ما هو حضاري، وعلمي، من خلال الاهتمام بالعلماء، وجميع الطاقات، والخبرات في شتى المجالات، وهذا من خلال التّشجيع، والدعم المادي، والمعنوي بالإضافة إلى عامل السياسة الذي وحّد المنطقتين، وسهل عملية العبور، والانتقال لهاته الروافد الأندلسية إلى المغرب دون حاجز وقيد، فصارت المنطقتان قطعة واحدة لا تجد فيها الرّعية أيّ حرج في التنقل الحر، والقيام بمهنتها، وحرفها في المنطقة دون خوف أو شعور بالنقص.

كلمات دالة : المرابطون، المغرب والأندلس، التأثير، العوامل، العمارة الأندلسية، الخبرة الأندلسية التفاعل الحضاري، التمازج.

Abstract:

The civilizational convergence and rivalry among nations is among the highest and highest levels of relations , that can express the awareness of nations and peoples of this value, which always forms a tributary of science, knowledge and civilization in general, and the emergence of introspective, insular and even tribal thinking that requires minds and inhibits the wheels of creativity.

I have expressed all this the almoravid dynasty and its rulers through its complete openness to all the andalusian aspects of the region after the process. this mix produced a new art in architecture, called the maghreb islamic and. andalusi art, which is characterized by toughness and immunology, and aesthetic beauty in form and decoration.

This thing would not have achieved reality without the presence of some factors that helped in this, including the rulers desire the emirs are taking advantage of all the cultural and scientific aspects, and the encouragement they have received from the scholars in all levels, both financially and morally.

this is in addition to the political factor, that unified the two regions and facilitated the transit and transport of these andalusian effects to maghreb islamic, which has become a barrier, She uses all her expertise and techniques in her various fields, especially architecture.

Key words:

The Almoravids, Affected, Factors, architecture, The decoration.

1. - مقدمة

لقد أسهمت الحضارة الإسلامية في الأندلس، وطوال سبعة قرون إسهاما واضحا في بلوغ الإنسانية تطورا لافتا على جميع الأصعدة، سواء على صعيد العلوم العقلية أو النقلية، وما قدمته من علماء يعبر بما كان على قوة وصحة هذا الطرح، فعندما كانت أوروبا غارقة في الأمراض، والأوبئة كان في الأندلس أطباء أفذاذ أمثال عبد الملك بن زهر (ت 464 هـ / 1071م)، وأبو القاسم الزهراوي (ت 403 هـ / 1011م)، وغيرهم من الأطباء يقومون بالتأليف في هذا الميدان، ويقومون بالتجارب، والتطبيق السريري في المستشفيات، كما هو معروف عن ابن زهر السابق، هذا الأخير يمكن القول عنه أنه سبق عصره من خلال الاكتشافات التي قام بها، كما نجد علماء كبار أحدثوا نقلة نوعية في مجال العلم فاستطاعوا أن يقدموا للإنسانية خدمات جليلة في مختلف المجالات أمثال ابن رشد الابن (ت 520 هـ / 1198م)، وابن البيطار (ت 646 هـ / 1248م)، والشريف الإدريسي (ت 560 هـ / 1160م) وغيرهم كثير.

لقد برزت في الأندلس أيام الوجود الإسلامي عناية واضحة بالمعمار نظرا للأهمية البالغة التي أولاهها الحكام المسلمون لهذا الجانب، وهذا من خلال المدن، والمساجد والأسوار التي بنوها بطراز معماري أندلسي غلب عليه الطراز الإسلامي الجميل، مثل ما قام به عبد الرحمان الداخل عندما بنى منية الرصافة، وقصرها المنيف (عنان، 1997، صفحة 200)، ومسجد قرطبة الذي جلب إليه الأعمدة الفخمة، والرُخام المنقوش بالذهب، واللازورد (عنان، 1997، صفحة 201)، وأسوار قرطبة التي لا تزال إلى حد اليوم تسحر أعين الناظرين، وتستقطب إليها الملايين من الزوار، هذا ما أوجد العديد من الدراسات التي عنت بهاته الصروح الفنية، كونها شكّلت علامات فارقة في تطور العمارة، والمعمار في العالم آنذاك، وإلى غاية اليوم.

ومنه أبانت الحضارة الإسلامية في الأندلس عن مدى الاهتمام الكبير الذي أولاه الحكام الأندلسيون الذين تعاقبوا على الحكم بمجال العمارة، والبناء والتشييد، ودليل ذلك كما قلنا الأعمال التي قاموا بها من منشآت معمارية، وفنية عديدة، ومتنوعة في كامل البلاد، مثل بناء المساجد، والمدن، والقصور، والأسوار، وقد نحى أيضا هذا المنحى الأمراء المرابطون باعتنائهم، واهتمامهم بمجال العمارة، والتشييد، وأعطوا لها الأهمية الكبيرة وركزوا على الجمالية، والدقة في تصميم، وبناء العمارة بمختلف أنواعها، وقد تجسد هذا كله من خلال محاولة نقل الطراز الأندلسي في العمارة إلى العدو المغربية. فكان لابد لنا من طرح الاشكالية التالية :

- ماهي العوامل التي أدت إلى تأثر الأمراء المرابطين بالروافد المتنوعة للأندلس خصوصا فن العمارة، ونقلها إلى المغرب الإسلامي؟ وماهي أبرز صور هاته العمارة الأندلسية في المغرب الإسلامي خلال العصر المرابطي؟

2- العوامل التي أدت إلى تأثير المرابطين بالحضارة الأندلسية.

لقد كان الإشعاع الحضاري الأندلسي قبل قيام دولة المرابطين ضاربا في جميع الأنحاء وبالأخص في المغرب الإسلامي لاعتبارات دينية بالمقام الأول، بالإضافة إلى العامل السياسي الذي لعب دورا مهما في هذا التأثير الذي كان حاصلا بين العدوتين خصوصا بعد الوحدة السياسية التي تحققت في زمن يوسف بن تاشفين، وضمه الأندلس لملك المرابطين في المغرب، كما نجد عوامل أخرى مهمة تمثلت في القرب الجغرافي بين المنطقتين، والذي نتج عنه تقارب ثقافي كبير بين شعبي المنطقة، والذي نجده أيضا واضحا في الحركة العلمية، والثقافية التي قام بها عدد كبير من العلماء نقلوا معهم الثقافة الأندلسية إلى المغرب، بالإضافة إلى الحركة التجارية التي كانت حاصلة بين سكان المغرب، والأندلس، كما لا ننسى بعض الهجرات التي قامت بين سكان العدوتين، وبالوقوف على العوامل التي أدت إلى تأثير المرابطين بالنموذج الأندلسي في العمارة يمكن أن نعتمد في دراستنا على تحليل العناصر السابقة على النحو التالي:

2-1 الوحدة السياسية: أخضع المرابطون الأندلس بعد المغرب الإسلامي إلى حكمهم (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 136) وهذا بعد دعوات حكام، وعلماء، وحتى ساكنة الأندلس ليوسف بن تاشفين (ت 500هـ/1106م) لتخليصهم من حملات الاسترداد التي كان يقوم بها ألفونسو السادس، وقد تحقق لهم الأمر بجواز أمير المرابطين لأول مرة إلى الأندلس في سنة (479هـ/1086م) حيث شهدت هذه السنة منعرجا حاسما في تمديد عمر الوجود الإسلامي في الأندلس، تمثل في معركة الزلاقة التي دارت بين جيش المرابطين بقيادة ابن تاشفين وجيش النصارى بزعامة ألفونسو السادس، حيث كانت الغلبة في الأخير لجيش المرابطين، الذين استطاعوا أن يخلصوا المسلمين، وراقبهم من سيوف ألفونسو مؤقتا، ويبعثوا الطمأنينة في نفوس المسلمين، ويمدوا في عمر الوجود الإسلامي في الأندلس قرابة ثلاثة قرون اضافية، ولم يتم ضم الأندلس خلال تلك الفترة إلى الحكم المرابطي إلا بعد الذي راه أمير المرابطين من حكام الأندلس، وتآمرهم، واتصالهم بالعدو (سعدون، 1405هـ/1985م، صفحة 109)، فرجع عام (482هـ/1089م) إلى المغرب ليستعد لضم الأندلس إلى حكمه، وهذا ما تحقق له بعد سنة عندما جاز للأندلس، ودون استغاثة أو نجدة كما حصل في جوازه السابق، وبدأ بمقاتلة أمراء الطوائف، وكان النصر حليفه فضم غرناطة، وصادر جميع أموال أميرها عبد الله بن بلكين، وبعدها مألقة وبها أميرها تميم بن بلكين، وفعل ما فعل بأخيه عبد الله، لكن تميم لم يقاوم، وأسلم الأمر ليوسف بن تاشفين، مما جعل هذا الأخير يوصي به خيرا، ويكرمه إكراما في منفاه في السوس في المغرب (سعدون، 1405هـ/1985م، صفحة 120)، واستمر بضم جميع الأندلس كحاضرة الخلافة الأموية إشبيلية سنة (484هـ/1091م)، ونفي أميرها المعتمد بن عباد، وهكذا استمرت عملية ضم الأندلس إلى الحكم

المرابطي إلى غاية (496هـ/1102م)، إلى أن أصبحت هاته الأخيرة ولاية تابعة للمرابطين ماعدا سرقسطة، وكان حاكمها أنذلك المستعين بن هود الذي عرف كيف يهادن يوسف بن تاشفين (حمدي، 1998، صفحة 74)، فضرب المرابطون بعد كل هذا الدراهم المرابطية (حمدي، 1998، صفحة 120)، وألغو الضرائب وبهذا تمت الوحدة السياسية بين العدوتين، فكان لهذا العامل الأثر الكبير في تهيئة الظروف لتدفق المؤثرات الأندلسية (حمدي، 1998، صفحة 363)، وبشكل كبير إلى المغرب وحتى في عمق الداخل المغربي الكبير زمنهم، بحيث لم يسبقهم بها غيرهم، وإليهم أيضا تنسب الأسبقية في توحيد الأندلس والمغرب في وحدة فنية توثقت عراها زمن علي بن يوسف (حمدي، 1998، صفحة 363)، فكانوا - المرابطون - هم الذين فتحوا أبواب المغرب ليلتقى فيضا من التأثيرات الأندلسية التي بدأت تتدفق في عصرهم على البلاد المغربية (العزیز، 1999، صفحة 661) عكس ما كان سابقا، واستطاع المغرب، والأندلس أن يرتبطا ولأول مرة في وحدة فنية وثيقة، فأصبحت الأندلس في المجال الفني كما يقال "أستاذ للمغرب" (العزیز، 1999، صفحة 661).

2-2- القرب الجغرافي: لا يفصل الأندلس عن عدوة المغرب سوى مضيق يسمى بمضيق جبل طارق (الحميري، 1975، صفحة 224) أو خليج (مجهول، أخبار مجموعة في ذكر فتح الأندلس، 1989م، صفحة 16) كما سماه القائد موسى بن نصير، وهو مضيق ذو مسافة تقدر بـ 14 كلم، حيث شكّل هذا الممر معبرا بحريا دائما بين الضفتين، لأنه كان عبر التاريخ طريقا قريبا وسهلا لعبور الناس من المغرب إلى الأندلس أو العكس، كما كان حلقة مهمة في جواز الفاتحين الأوائل من المسلمين وأقصد بهم طارق ابن زياد - وإليه ينسب تسميته - إلى الأندلس، حين قاموا بفتح البلاد، كما جاز منه يوسف بن تاشفين حين طلب منه ملوك الطوائف المساعدة لتخليصهم من الملك ألفونسو السادس، بالإضافة إلى أن سكاّن الأندلس كانوا ينظرون إلى مغاربة المغرب الأقصى على أنهم الأقرب منهم من الناحية الجغرافية وهذا ما تترجمه كلمات عبيد الله بن أدهم قاضي قرطبة (ت 486هـ/1093م) عندما اجتمع أعيان، ومشايخ قرطبة للتشاور بشأن البحث عن من يخلصهم من الدّلة والهوان التي ألحقها بهم ألفونسو السادس، فاقترحوا أولا عرب إفريقية، لكن القاضي أشار عليهم الاتصال بالمرابطين لأنهم أصلح منهم، وأقرب إلى الأندلس، فطلبوا منه استدعاء الأمير يوسف لإنقاذهم وفوضوه الأمر، وعلي الرغم من أن كلا الفريقين كان من المغرب الإسلامي إلى أن القرب الذي كان القاضي يقصده ربما يتعلق بالمشاهدة العينية التي كان يراها من الوجود الدائم لبعض ساكنة المغرب، وبالحصوص المغرب الأقصى، وهذا من خلال المبادلات التجارية التي كان يقوم بها التجار من كلا الطرفين، كما أن جواز المرابطين إلى الأندلس تم في ساعات فقط، استنادا إلى أن الأمير يوسف بن تاشفين قد عبر إلى الأندلس عبوره الأول في سنة

(479هـ/ 30 يونيو 1076م) فنزل بالجزيرة الخضراء، فصلى بها صلاة الظهر من يومه ذلك (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 145)، فهذا دليل واضح على أنَّ مسألة العبور إلى الأندلس من طرف المغاربة كانت قضية سهلة، وهينة لا تقتضي إلا بعض الساعات، ولم تكن تشكل تحديا لهم بسبب وجود عامل البحر، أو عامل البعد الذي يتطلب تحضيراً كبيراً له.

2- 3 الرحلات العلمية وعناية المرابطين بالعلماء: لقد برزت خلال الوجود الإسلامي بالغرب الإسلامي علاقات جد وطيدة بين المغرب، والأندلس تجسدت من خلال الحركة العلمية التي كانت موجودة من قبل العلماء، وطلبة العلم، فقد حوت كلتا المنطقتين تاريخاً زاخراً بالعلم، والعلماء، وفي شتى العلوم، وكانت الأندلس بالأخص قبلة يرتادها الناس من كل البقاع لطلب العلم، والمعرفة من علمائها، ولقد عني الحكام المرابطون باستمالة العلماء والفقهاء، ودعوتهم إلى المغرب للاستفادة من علمهم، وتعليم الناس ما ينفعهم، فقد كان الأمير يوسف بن تاشفين محباً في الفقهاء، والعلماء، والصلحاء مقرباً إليهم صادراً عن رأيهم مكرماً لهم (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 137) (المراكشي، د ت، صفحة 235)، ونفس الحال كان مع ابنه علي فقد أعطى قيمة جليلة للعلماء، فكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء (حمدي، 1998، صفحة 365) أمثال محمد بن داود بن عطية (ت 525هـ/ 1131م) قاضي فاس الذي أطلع الأمير يوسف بن تاشفين على حالة مسجد القرويين، وما تعانيه الناس من ضيق فيه أثناء الصلاة الجامعة، فأذن له بالتوسعة، وكان القاضي يشرف بنفسه على عملية البناء (عياض، 1982، صفحة 64)، وقد شغل هذا القاضي القضاء في إشبيلية (عياض، 1982، صفحة 366) وأخذ علمه من قبل في الأندلس مما يوحى إلى أنه كان له اطلاع مسبق على البلاد الأندلسية من حيث التطور الذي وصلت إليه خصوصاً في جانب العمارة لأنَّه كما سبق قد أشرف بنفسه على توسعة المسجد، وبناء بعض الأبواب، وكان الحال أيضاً مع منبر المسجد فقد أقامه عبد الحق بن عبد الله بن معيشة الغرناطي، وأتمه من بعد وفاته القاضي أبا مروان بن عبد الملك بن بيضاء (ت 540هـ/ 1145م) (عياض، 1982، صفحة 366)، وتولَّى صناعته، ونجارته الأديب أبا يحيى العتاد (ابن بسام، 1417هـ/ 1997م،، صفحة 220)، وهذا دليل على أنَّ عمل القضاة لم يكن يقتصر على الجوانب العلمية والقضائية داخل الدولة المرابطية بل تعداه إلى الجوانب الفنية، والحضارية، كما استدعى الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين الطبيب، والوزير الأندلسي المشهور أبو العلاء زهر بن عبد الملك إلى مراكش (كمال السيد، 1997، صفحة 11)، فأكرمه، وقربه منه فصار من أهل الحل والعقد (مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، 1979، الصفحات 49-50)، ونفس الحال كان مع عبد الرحمان بن أسباط الأندلسي (ت 487هـ/ 1094م) حيث شغل منصب كاتب لدى بن تاشفين، وكان عالماً باللسان البربري، والإسباني بالإضافة إلى أنه كان مع الأمير

يوسف حينما جاز إلى الأندلس، فأفاد من خبراته العسكرية، والإدارية، وكان هو صاحب المشورة على يوسف بن تاشفين بوجوب طلب ملكية الجزيرة الخضراء من المعتمد بن عباد كشرط للعبور إليه، ونصرتة (بن الذيب، 2009م، صفحة 386)، ونفس الأمر حصل مع الأديب يحيى بن أرزاق (ت 537هـ/1142م) الذي أسند له مهمة الكتابة.

فمكانة العلماء، والفقهاء كانت واضحة، وظاهرة لدى الحكام المرابطين حيث لعبوا دورا هاما داخل الدولة المرابطين على جميع الأصعدة، هذا ما جعلهم أصحاب تأثير على قرارات الأمراء المرابطين على مختلف الأصعدة سواء السياسية، والاجتماعية، وحتى الحضارية.

2-4 المعاملات التجارية: كانت العدو المغربية، وبالأخص المغرب الأقصى تشتهر بكثرة موانئها التي لعبت دورا هاما، وكبيرا في تقوية العلاقات التجارية بين المغرب والأندلس، فميناء سبتة الذي يعتبر من بين أقرب الأماكن التي تربط بين المغرب، والأندلس من الجهة الشرقية لشبه جزيرة الأندلس (أبو المعاطي، 2000م، صفحة 1)، حيث كانت السفن التجارية تتردد بين وهران، وألمرية حاملة مختلف أنواع السلع، والعلماء، والمسافرين عبر الثغرين (المراكشي، د ت، صفحة 237)، وباعتبار أن الأندلس حاضرة المغرب الأقصى (دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحيدين، 1988، الصفحات 175-188) حيث كانت من البلدان العامرة بكل أصناف السلع، والصنائع المختلفة، والمتنوعة من منتوجات زراعية، وحيوانية، وصناعات مختلفة كصناعة الورق والزجاج، والرخام والمنسوجات، وصناعة الأدوية (سعدون، 1405هـ/1985م، صفحة 144)، فمكّن هذا التنوع من إحداث نشاط حركي بشري كبير بين المنطقتين، بحيث ولد تبادل حضاري، وفكري بين الشعوب، وأعطى تنوعا، وتعددا على جميع الأصعدة، وهذا لكون أن التجارة، والتجار يمثلون عبر التاريخ عاملا مهما في نشر الثقافات، والعادات بين الشعوب، كونهم فئة مؤثرة داخل المجتمع بنشاطهم، وأموالهم، وعلاقاتهم بالسلطة، والرعية في نفس الوقت.

2-5 جمال أرض الأندلس: لقد أعجب الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين بأرض الأندلس، فحينما تحول في إشبيلية راقه غناها، وجذبتة خصوبة أرضها (المراكشي، د ت، صفحة 203)، وتنوعها من بساتين، وضياع، ووصل به الأمر إلى حد استصغار مملكته في المغرب بها (المراكشي، د ت، صفحة 116)، وهذا الإعجاب نجده عند عموم المرابطين الذين جاءوا من بيئة صحراوية قاحلة لم تكن تعرف هذا الجمال الذي حوته الأندلس من أرض عامرة بالضياع؛ الغنية بالخيرات، مثل التين، والعنب والزيتون (عنان، 1997، صفحة 413)، كما كان لهذا الأمر تأثيرا واضحا على الروح الجهادية لدى الجند، والقادة المرابطين نظرا لما وجدوه من الحياة الجديدة الرعدة في هذه القواعد العظيمة، والوديان النظرة، والعيش الرخص (سعدون، 1405هـ/1985م، صفحة

(114)، وكانوا يحسون أنهم هم أولى بماته الأرض من حكامها، وأمرائها المتخاضين (حركات، 1420هـ/2000م، صفحة 173)، فزاد تمسكهم بها.

3- تأثير الحكام المرابطين بالعمارة الأندلسية.

لقد سعى الحكام المرابطون إلى إقامة دولة العدل التي لا تفرق بين أحد فحاولوا أن يدمجوا جميع العناصر البشرية داخل المجتمع دون تمايز عرقي، وجنسي، فاستعانوا بالخبرات، والكفاءات الأندلسية، وأشراكها في وظائف حكومية (حسن ا.، د ت، صفحة 427)، كالكتابة، والوزارة محاولين محو الصورة التي ارتسمت في الأذهان حول استئثارهم دون غيرهم بتقلد المناصب والوظائف العليا في الدولة، وسرعان ما ولد هذا التمازج تلك الرغبة من طرف المرابطين في سبيل النهل من الحضارة الأندلسية، وتقميرها إلى المغرب دون قيود، وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على تلك الروح التي كانت تحملها هاته القبائل التي طالما وصفت بالبدواة، والجفاء، وبعدها عن مظاهر التحضر، فقد كانت قبائل بدوية صحراوية بناة (حسن ا.، د ت، صفحة 428) بامتياز، لها ذوقها الرفيع، والحساس وهذا بالرغم من أنها اتخذت مبدأ الزهد، والتقشف في حياتها بادئ الأمر، لكن سرعان ما استسلمت لغريزة روحها التي تعشق الجمال، فبدأت الروافد الأندلسية تغزو المغرب بدء من الساحل مجتازة جبل درن، وصولا إلى أعماق الجنوب (دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، 1988، صفحة 143)، وسرعان ما بدأت هاته المؤثرات تتجسد في فن العمارة بالمغرب، كون المرابطين قد بدأت تظهر عليهم ملامح الاهتمام والاعتناء بالبناء، والتشييد خصوصا فيما تعلق بالمساجد، والقصور، والقلاع، والأسوار وقد عرف عنهم اهتمامهم بما يسمى بالعمارة الحربية أمثال القلاع، والأسوار، والحصون وعلى الرغم من البدايات البسيطة التي كانت في زمن يوسف، والتي اتسمت بالزهد والتقشف بالإضافة إلى الاهتمام بجانب القوة والمناعة (حركات، 1420هـ/2000م، صفحة 221)، إلا أنّ في زمن ابنه علي بدأت المظاهر الفنية، والجمالية تظهر في المعمار المرابطي، وبدأت اللمسات الأندلسية تظهر بوضوح في ذلك، لتأخذ حيزا كبيرا من الفن البربري المتأثر بروافد عديدة من مختلف الحضارات على غرار الحضارة الرومانية والمصرية و البيزنطية (حركات، 1420هـ/2000م، صفحة 222)، بالإضافة إلى الطراز المغربي - الإفريقي - الذي كان متركزا في العمارة الحربية (دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، 1988، صفحة 132)، والذي تأثر هو بالمؤثرات الشرقية مثل مصر ودمشق (رزقي، 2015م، ص 70) وبلاد ما بين النهرين (رزقي، 2015م، ص 70).

فبدأ الخلفاء المرابطون يستقدمون المهندسين، والبنائين الأندلسيين إلى المغرب لغرض البناء والتشييد، وهذا نظرا لما رأوه من دقة في البناء، وإحكام في الصنعة التي تميز بها الأندلسيون (حسن ع.، 1980، صفحة 392)، ونتيجة لطابع الدولة العسكري فقد سعت هاته الأخيرة إلى بناء،

وترميم الأسوار، والحصون، وهذا على مدار عمر الدولة، حيث تشير الإحصائيات إلى أنَّ عدد الحصون التي بناها المرابطون قد بلغت حوالي سبعين حصناً (حسن ع.، 1980، صفحة 392)، وعلى الرغم من قلة الإشارات إلى مميزات هاته المنشآت المعمارية من الجانب الفني إلا أنَّ الحضور الأندلسي كان موجوداً فيها ولو بصور متباينة سواء من حيث اليد العاملة أو التصميم الهندسي، فقد بني يوسف بن تاشفين سور مراكش بالاعتماد على الخبرة الأندلسية المتمثلة في الصانع الذين جلبهم من الأندلس (حسن ا.، د ت، صفحة 453)، كما بنيت قلعة تاسغيموت بتوجيهات من رجل أندلسي يدعى ابن الفلكي (العزيز، 1999، صفحة 662)، كما بنيت أبراج قلعة أمرجوا بطابع أندلسي ميز أبراجها المستديرة (حمدي، 1998، صفحة 378).

وقد ظهر جلياً الفن الأندلسي داخل المدن، من خلال القصور، وزخرفة المساجد حتى قيل أنَّ زهد ابن ياسين قد نسي كل النسيان لدى المرابطين، فقد جلب يوسف بن تاشفين الصنَّاع من قرطبة لبناء المساجد بمدينة فاس، والقيام على كل ما يستلزمها من بناء أسوارها، وحماماتها، وسقاياتها (الجزنائي، 1411هـ/1991م، صفحة 42)، كما كانت المساجد التي بنيت في المغرب الأوسط وبالضبط في الجزائر العاصمة، وتلمسان الأثر الواضح، والصورة البينة على التأثير الأندلسي والطرز المعماري التي استعمله المرابطون في هاته المساجد، فكان نموذج جامع قرطبة حاضراً في بناء هذين المسجدين، من خلال السقف المطوي، والأقواس متعددة الفصوص (شقرون، 2018، الصفحات 44-46) بالإضافة إلى الزخارف النباتية التي طبعت محرابيهما، وبالأخص محراب جامع تلمسان، كما كانت المآذن شاهده على هذا الفن الزخرفي، فقد تميزت بتفصيلات، وتخطيط فني بديع في كامل بنائها متأثرة كل التأثير بالطابع الأندلسي، وخصوصاً جامع قرطبة باعتباره قطباً للفن الإسلامي (George Marcais, 1926, p. 290)، فقد كانت هاته المآذن ذات أشكال مربعة كما في الأندلس، وقد تأثرت القباب هي أيضاً، أخذاً شكل الأضلع المتقاطعة تشبهاً بالطرز الأندلسي الذي يعود استعماله أول الأمر إلى الحكم المستنصر (رزقي، 2015م، ص 70).

كما لم يفوت المرابطون الفرصة ليستفيدوا من الخبرة الأندلسية في باقي مجالات الهندسة، والبناء، فقد استفاد الخليفة يوسف بن تاشفين من خبرة المهندس الأندلسي عبد الله بن يونس سنة (470هـ/1077م) لتوفير مياه السقي، وتنظيم المجال الأخضر (بوتشيش، 2000م، صفحة 110) وهذا بطريقة ذكية، ومحترفة أعجبه فكافأه على ذلك فأعطاه مالا وأثواباً (الادريسي، 2002م، الصفحات 233-234)، وأصبحت طريقته بعد ذلك معتمدة عند سكان مراكش في استخراج المياه، وتوزيعها في عملية السقي، ونفس الحال كان مع ولده علي الذي جلب الصانع من الأندلس لينبأ له قنطرة تانسيفت التي كانت غاية في العجب (الادريسي، 2002م، صفحة 235).

4- الخاتمة

من خلال هاته الدراسة التي استعرضنا فيها التأثيرات الأندلسية الفنية والعمرانية التي رفدت الى المغرب خلال الحقبة المرابطية، وهذا بفضل مجموعة من العوامل المتنوعة والتي كان من أبرزها الإرادة والرغبة السياسية ممثلة في شخص الأمير يوسف بن تاشفين ومن بعده ابنه علي وهذا من خلال انفتاحهم على الثقافات والأفكار الجديدة الخارجة عن الاطار المغربي، فكانت المؤثرات الأندلسية الرائدة والسبّاقة في الحضور والتواجد في شتى المجالات الفكرية والأدبية و الحضارية، فكان الجانب الفني العمراني من بين هاته الجوانب التي مستها هاته المؤثرات محدثة بذلك قفزة حضارية كبيرة تنافس في ذلك الدول القائمة في تلك الفترة، مبرزة بذلك الجانب الجمالي والحضاري للدولة، والتي تعبر من خلاله عن رغبتها في بناء دولة متكاملة الأركان تنافس الدول في تلك الفترة، وخصوصا ما تعلق بالشق الحضاري والثقافي، فطالما نعت المرابطون بالجفاء والغلطة في السلوك والتصرف، وأبعد ما يكونوا عن الحضارة وأنهم صحراويون رعاة إبل، إلا أنهم استطاعوا أن يمحوا تلك الصورة من الأذهان، ويكسروا الحواجز النفسية والجغرافية التي كانت موجودة بين المغرب والأندلس ويسقطوا ولو جزئيا تلك الأفكار العقيمة المتمثلة في ما كان يتداول حول أفضلية الأندلسي على المغربي أو العكس، والتي طالما كانت هاته القضية حديث كتب أدب المناظرات وغيرها من الأحاديث، وبالرغم من أننا لا نزعم وجود نزعة التمدن والتحضر في فكر المرابطين بصور كبيرة وجليّة وهذا لطبيعة البيئة البدوية التي نشؤوا فيها والتي كانت واضحة التأثير على سلوكهم وأفكارهم، كونه من الصعب التخلي عنها بسهولة و الاندماج في عالم المدنية والتحضر، إلا أنهم استطاعوا و بسرعة تحقيق هذا الاندماج.

لقد ساهمت الوحدة السياسية والقرب الجغرافي ووحدة الدين واللغة في كسر جميع الحواجز التي كانت عائقا في عملية التبادل الثقافي بين الضفة المغربية والأندلسية، ونقل الطراز المعماري الأندلسي الى المغرب وتجسيده على كل المباني والعمران المغربي وهذا في سبيل إعطاء صورة جمالية وفنية لهاته المباني مساهمين في نفس الوقت في إحداث علاقات اجتماعية جديدة أكثر توطدا مما كان في السابق وهذا على جميع الاصعدة، فكانت هناك روابط النسب التي نتج عنها أجيال أندلسية ومغربية مختلطة بالإضافة إلى الروابط التجارية والتي طالما كانت أساس أي علاقات بين الدول والشعوب، كما ساهم هذا التمازج والتأثر في نشر فكرة الوحدة السياسية أكثر في عقول الأندلسيين خصوصا محاولة ربطهم بفكرة المصير الواحد الذي يجب أن تبني عليه هاته العلاقات وتتوطد وهذا تحت غطاء واحد وهو غطاء الدين الإسلامي.

و استفاد الأمراء المرابطون أيضا من اليد العاملة الأندلسية في بناء الحصون والقلاع والمنشآت الحربية، بل وحتى من اليد النصرانية وهذا في سبيل بناء منشآت قوية ومنيعة تساعدهم في مواجهة

التحديات الداخلية والخارجية وجميع الاخطار المحدقة بالدولة، معبرين بذلك عن انفتاحهم ورغبتهم في الحفاظ على الدولة وسلامتها بشتى الطرق ودون ادخار أي جهد وفكرة في سبيل تحقيق هاته الغاية الأساسية، ومع الاحتكاك المغربي بالخبرة الاندلسية صار المغاربة أهل فن وصناعة في البناء. كما أنتج هذا التمازج والانفتاح على الخارج ظهور فن معماري مرابطي مزج بين الجمالية والمناعة والقوة، محدثا بذلك ثورة فنية ومعمارية داخل المغرب، استفادت منها القوى السياسية التي جاءت من بعدهم، مثل الموحدون والمرينيون، الذين نخلوا نخلًا من هذا الفن المغربي الأندلسي الذي اعتمده المرابطون طرازًا ونمطًا في معمارهم.

المصادر والمراجع.

1. إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة بيروت، 2000م.
2. إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء المغرب، 1420-2000م.
3. ابن أبي زرع الفاسي، أبو الحسن علي بن عبد الله : الأنيس المطرب بروض القرطاس، تحقيق دار المنصور للطباعة، الرباط 1972م.
4. ابن بسام الشنتريني، أبي الحسن علي: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة بيروت، القسم 2 المجلد 1، دت.
5. الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالشريف: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.
6. حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، دار الفكر لعربي، القاهرة. دت.
7. حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين"، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م.
8. حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية 1998م.
9. الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط 1، بيروت لبنان، 1975م.
10. رزقي نبيلة: الزخرفة الجصية في عمارة المغرب الأوسط والأندلس (القرن 7-8 هـ / 13-14 م)، رسالة دكتوراه علوم، قسم الآثار، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2014-2015م.
11. رفيدة شقرون: قراءة تقييمية لأثر الفن المعماري الأندلسي والمدمجن على الفن المعماري للمغرب الأوسط، مجلة الامارات للبحوث الهندسية، كلية الهندسة، جامعة الامارات، العدد 1، المجلد 23، يناير 2018م.
12. سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين بالأندلس في عهد يوسف بن تاشفين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت 1405هـ، 1985م.
13. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة- الاسكندرية 1999م.
14. عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي ، الجزء الاول، الطبعة الرابعة، القاهرة 1997م.

15. عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، الجمهورية العربية المتحدة. دت.
 16. عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1408-1988م.
 17. عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في حماية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1988م.
 18. علي الجزنائي: جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ-1991م.
 19. عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين - دراسة اجتماعية واقتصادية - رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الجزائر - 2008-2009م.
 20. القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي: الغنية، تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1982م.
 21. كمال السيد أبو مصطفى: دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، مركز الإسكندرية للكتاب 1997م.
 22. مؤلف مجهول: أخبار مجموعة في ذكر فتح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، الطبعة الثانية، القاهرة وبيروت 1979م.
 23. مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979م.
 24. يحيى أبو المعاطي محمد عباسي: الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس، دراسة تاريخية مقارنة، رسالة دكتوراه جامعة القاهرة كلية دار العلوم، قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية 2000م.
- المراجع الأجنبية.

1. George Marçais, Manuel d'arts musulman, architecture tunisie algerie maroc, Espagne, sicile e T.A. picard, paris 1926.